المحاضرة الثانية

موقف الشريعة من السحر

قال الله تعالى:

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟
ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١) وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟
ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ
ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ
يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ
وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ
عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ
كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ (١٠٢) وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟
يَعْلَمُونَ (١٠٣)﴾. (سورة البقرة)

التحليل اللفظي

نبذ: النبذ: الطرح والإلقاء قال تعالى: ﴿فنبذناهم في اليمّ﴾، ومنه النبيذ للشيء المسكر، وسمي نبيذاً لأن الذي يتخذه يأخذ تمراً أو زبيباً فينبذه في وعاء أو سقاء، ويتركه حتى يصير مسكراً، والمنبوذُ: ولد الزنى لأنه يُنبذُ على الطريق، قال أبو الأسود:

وخبّرني من كنتُ أرسلتُ أنما ... أخذتَ كتابي معرضاً بشمالكا

obeikandl.com

نــظرتَ إلى عنوانــه فنبــذتَــه		كنبـذكَ نعلاً أَخْلقتْ من نعـالكـا

وقال آخر:

إنّ الــذين أمـرتهم أن يعــدلـوا		نبذوا كتابك واستحلُّوا المَحْرَما[١]

وراء ظهورهم: هذا مثل يضرب لمن استخفّ بالشيء وأعرض عنه جملة، تقول العرب: جعل هذا الأمر وراء ظهره، ودبر أذنه، قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذۡتُمُوهُ وَرَآءَكُمۡ ظِهۡرِيًّا﴾، وأنشد الفرّاء:

تميمَ بنَ زيدٍ لا تكوننَّ حـاجتي		بظَهْرٍ ولا يَعْيـا عليكَ جَـوَابُها[٢]

كأنهم لا يعلمون: تشبيه لهم بمن يجهل، لأن الجاهل بالشيء لا يحفل به ولا يهتم، لأنه لا شعور له بما فيه من المنفعة.

والمعنى: نبذوا كتاب الله وتركوا العمل به، على سبيل العناد والمكابرة، كأنهم لا يعلمون أنه كتاب الله المنزّل على رسوله الكريم.

واتبعوا: الضمير لفريق من الذين أوتوا الكتاب وهم اليهود.

قال الزمخشري: أي نبذوا كتاب الله واتبعوا ما تتلو الشياطين[٣].

والمراد بالاتباع: التوغُّل والإقبال على الشيء بالكليّة، وقيل: الاقتداء[٤].

تتلو: بمعنى (تلت) مضارع بمعنى الماضي، فهو حكاية لحال ماضية، قال الشاعر:

وانضَـحْ جَوَانبَ قبرِهِ بـدمائهـا:		فلقد يكونُ أَخَـا دمٍ وذبائـحِ[٥]

---

(١) تفسير القرطبي ٣/٤٠، وانظر القاموس المحيط، ولسان العرب مادة (نبذ).

(٢) البيت للفرزدق يخاطب تميم بن زيد القيني الذي كان على السند، وانظر البحر المحيط ١/٣٢٥، وتفسير القرطبي ٢/٤٠.

(٣) تفسير الكشاف ١/٧٤.

(٤) روح المعاني للألوسي ١/٣٣٧.

(٥) تفسير القرطبي ٢/٤٢.

obeikandl.com

أي: فلقد كان.

وتتلو يعني: تُحدّث، وتروي، وتتكلم به، من التلاوة بمعنى القراءة.

قال الطبري: ولقول القائل «هو يتلو كذا» في كلام العرب معنيان:

أحدهما: الاتباع كما تقول: «تلوت فلاناً» إذا مشيت خلفه وتبعت أثره.

والآخر: القراءة والدراسة كما تقول: فلان يتلو القرآن بمعنى أنه يقرؤه ويدرسه، كما قال (حسان بن ثابت):

نبيٌ يرى ما لا يرى الناس حوله: ويتلو كتاب الله في كل مشهد[1]

والمعنى: طرحوا كتاب الله وراء ظهورهم، واتّبعوا كتب السحر والشعوذة التي كانت تقرؤها الشياطين وتحدّث وتروي بها في عهد سليمان.

الشياطين: المتبادر من لفظ (الشياطين) أن المراد بهم مردة الجن، وبه قال بعض المفسرين، وقال بعضهم: المراد بهم شياطين الإنس، والأرجح أن المراد بهم شياطين (الإنس والجن) كما قال تعالى: ﴿شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً﴾[2].

على ملك سليمان: أي على عهد ملكه وفي زمانه، فهو على حذف مضاف.

قال المبرّد: «على» بمعنى «في» أي في عهد ملكه[3]، كما أنّ «في» بمعنى «على» كما في قوله تعالى: ﴿لأصلبنّكم في جذوع النخل﴾، أي: على جذوع النخل. و (سليمان) اسم عبراني، وقد تكلمت به العرب في الجاهلية، واستعمله الحطيئة اضطراراً فجعله بلفظ (سلّام) حين قال:

فيهِ الرِّماحُ وفيهِ كُلُّ سَابِغَةٍ جَدْلاءَ مُحْكَمَةٍ من نَسْجِ سَلاّمِ

---

(١) تفسير الطبري ٢/٤٠٧.

(٢) زاد المسير في علم التفسير ١/١٢٠، وانظر تفسير القرطبي ٢/٤٢.

(٣) نفس المرجع السابق والجزء ص ١٢٢.

قال الألوسي: وسليمان اسم أعجمي، وامتنع من الصرف للعلمية والعجمة، ونظيره (هامان) و (ماهان) و (شامان) وليس امتناعه من الصرف للعلمية وزيادة الألف والنون[(١)].

السّحر: في اللغة: كلّ ما لطف مأخذه ودقّ، قال الأزهري: وأصل السّحر صرفُ الشيء عن حقيقته إلى غيره، فكأنّ الساحر لمّا أرى الباطل في صورة الحقّ، وخيّل الشيء على غير حقيقته، قد سحر الشيء عن وجهه أي صرفه[(٢)].

وقال الجوهري: والسّحر: الأُخْذَةُ، وكلّ ما لطُف مأخذه، ودقّ فهو سحرٌ، وسَحَره أيضاً بمعنى خدعه[(٣)].

وقال القرطبي: السّحر أصلُه التمويهُ بالحيل، وهو أن يفعل الساحر أشياء ومعاني، فيُخيّل للمسحور أنها بخلاف ما هي به، كالذي يرى السّراب من بعيد فيخيّل إليه أنه ماء، وهو مشتق من سحرتُ الصبي إذا خدعته، قال لبيد:

فإنْ تَسْألينا فيمَ نحنُ فإنَّنا　　عصافيرُ من هذا الأنَام المسحَّر

وقال امرؤ القيس:

أُرانا مُوضِعينَ لأمرِ غَيْبٍ　　ونُسْحَرُ بالطَّعَامِ وبالشَّرابِ
عَصَافِيرٌ وذُبَّانٌ ودُودٌ　　وأَجْرَأُ من مُجلّحة الذّئابِ[(٤)]

وقال الألوسي: السّحر في الأصل مصدر سَحَرَ يَسْحر بفتح العين فيهما إذا أبدى ما يدقّ ويخفى، وهو من المصادر الشاذة، ويستعمل بما لطف

---

(١) روح المعاني ١/٣٣٨.
(٢) انظر لسان العرب لابن منظور مادة (سحر).
(٣) انظر الصحاح للجوهري، والقاموس المحيط.
(٤) ذئب مجلح: أي جريء، وانظر القرطبي ٢/٤٤.

obeikandl.com

وخفي سببه، والمراد بـه أمر غريب يشبـه الخارق[1]. وفي الحـديث (إنّ من البيان لسحراً).

فتنة: الفتنةُ الاختبـار والابتلاء، ومنـه قـولهم: فتنتُ الـذهب في النـار إذا امتحنتـه لتعرف جودته من رداءته.

قال الأزهري: جِماعُ معنى الفتنة: الابتـلاء، والامتحان، والاختبـار، قال تعالى: ﴿إنّما أموالكم وأولادكم فتنـة﴾، وقال تعـالى: ﴿ولقد فتنّا الذين من قبلهم﴾، أي اختبرنا وابتلينا[2].

قال الجصّاص: الفتنةُ: ما يظهر بـه حال الشيء في الخير والشر، تقول العرب: فتنتُ الذهب إذا عرضته على النار لتعرف سلامته أو غشّه، والاختبار كذلك أيضاً لأن الحال تظهر فتصير كالمخبرة عن حالها[3].

فلا تكفر: أي بتعلم السّحر واستعماله، وفي الآية إشارة إلى أنّ تعلم السّحر كفرٌ.

قال الزمخشري: (فلا تكفـر)، أي: فلا تتعلم السّحـر معتقداً أنـه حق فتكفر.

بإذن الله: أي بإرادته ومشيئته، وفيه دليل على أن في السحر ضرراً مـودعاً، إذا شـاء الله تعالى حال بينه وبين المسحور، وإذا شـاء خلّاه حتى يصيبـه ما قـدّره الله تعالى لـه، وهذا مذهب السلف في الأسباب والمسببات.

لمن اشتـراه: **قال الألـوسي:** أي: استبدلوا ما تتلو الشيـاطين بكتـاب الله، والـلام لـلابتداء وتـدخل على المبتـدأ وعلى المضارع، ودخـولها على المـاضي مع (قد) كثير[4]، كقوله تعالى: ﴿لقد سمع الله قـول الذين قـالوا إن الله فقيـر ونحن أغنياء﴾.

---

(١) روح المعاني للألوسي ١/٣٣٨.
(٢) لسان العرب مادة (فتن)، وانظر الصحاح، والقاموس المحيط.
(٣) أحكام القرآن للجصاص ١/٥٧.
(٤) روح المعاني للألوسي ١/٣٤٥.

obeikandl.com

خلاق: الخلاقُ في اللغة بمعنى النصيب قال تعالى: ﴿أولئك لا خلاق لهم في الآخرة﴾، ويأتي بمعنى القَدْر، قال الشاعر:

فما لكَ بيتٌ لدى الشامخات ... وما لك في غالب من خلاق

قال الزّجاج: هو النصيب الوافر من الخير، وأكثر ما يستعمل في الخير، ويكون للشر على قلّة(١).

شَرَوْا: أي: باعوا أنفسهم به، يقال: شرى بمعنى اشترى، وشرى بمعنى باع من الأضداد، قال الشاعر:

شريتُ بُرْداً ليتني ... من بعد بُرْدٍ كنتُ هامة(٢)

لمثوبة: المثوبة: الثواب والجزاء، أي: لثواب وجزاء عظيم من الله تعالى على إيمانهم وتقواهم.

المعنى الإجمالي

يخبر المولى جلّ ثناؤه أنّ أحبار اليهود وعلماءهم نبذوا كتابه الذي أنزله على عبده ورسوله (موسى) عليه السلام وهو التوراة، كما نبذ أحفادهم الكتاب الذي أنزله على نبيه محمد ﷺ وهو القرآن، مع أنّ الرسول جاء مصدّقاً لما بين أيديهم من التوراة، فلا عجب أن يكون الأحفاد مثل الأجداد، في الاستكبار والعناد، فهؤلاء ورثوا عن أسلافهم البغي، والإفساد، والعناد.

لقد نبذ أولئك كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون أنه كتاب الله المنزل على نبيه ﷺ واتبعوا طرق السحر والشعوذة التي كانت تحدّثهم بها الشياطين في عهد ملك سليمان، وما كان (سليمان) عليه السلام ساحراً، ولا كفر بتعلمه السحر، ولكنّ الشياطين هم الذين وسوسوا إلى الإنس وأوهموهم أنهم يعلمون الغيب، وعَلّموهم السحر حتى فشا أمره بين الناس.

---

(١) تفسير الألوسي ١/٣٤٥.

(٢) تفسير ابن الجوزي ١/١٢٥، وتفسير الألوسي ١/٣٤٦.

وكما اتّبع رؤساء اليهود (السحر)، و (الشعوذة) كذلك اتّبعوا ما أُنزل على الرجلين الصالحين، أو الملكَيْن. (هاروت) و (ماروت) بمملكة بابل، فقد أنزلهما الله تعالى إلى الأرض، لتعليم السحر، ابتلاءً من الله للناس، وما يعلّمان السّحر من أجل السّحر، وإنّما من أجل إبطاله، ليُظْهرا للناس الفرق بين (المعجزة) والسّحر، ولله أن يبتلي عباده بما شاء، كما امتحن قوم طالوت بالنهر، وقد كثر السحر في ذلك الزمان، وأظهر السّحرة أموراً غريبة وقع بسببها الشكّ في أمر النبوّة، فبعث الله تعالى الملكَين لتعليم أبواب السحر، حتى يزيلا الشّبَه، ويميطا الأذى عن الطريق.. ومع ذلك فقد كانا يحذّران الناس من تعلّم السحر واستخدامه في الأذى والضرر، وكانا إذا علّما أحداً قالا له: إنما هذا امتحان من الله وابتلاء فلا تكفر بسببه واتّق الله فلا تستعمله في الإضرار، فمن تعلّمه ليتوقّى ضرره ويدفع أذاه عن الناس فقد نجا وثبت على الإيمان، ومن تعلّمه معتقداً صحته ليُلحق الأذى بالناس فقد ضلّ وكفر، فكان الناس فريقين: فريق تعلّمه عن نيّة صالحة ليدفع ضرره عن الناس، وفريق تعلّمه عن نيّة خبيثة ليفرّق به بين الرجل وأهله، وبين الصديق وصديقه، ويوقع العداوة والبغضاء بين الناس، وهؤلاء قد خسروا دنياهم وآخرتهم، لأنهم عرفوا أنّ من تجرّد لهذه الأمور المؤذية، ما له في الآخرة من نصيب ولبئسما باعوا به أنفسهم لو كان عندهم فهم وإدراك.

ولو أن هؤلاء الذين يتعلمون السحر آمنوا بالله، وخافوا عذابه، لأثابهم الله جزاء أعمالهم مثوبة أفضل ممّا شغلوا به أنفسهم، من هذه الأمور الضارّة التي لا تعود عليهم إلّا بالويل والخسار والدمار.

سبب النزول

قال ابن الجوزي رحمه الله: في سبب نزول هذه الآية قولان:

أحدهما: أن اليهود كانوا لا يسألون النبي ﷺ عن شيء من التوراة إلّا أجابهم، فسألوه عن السحر وخاصموه به فنزلت هذه الآية، قاله أبو العالية.

والثاني: أنه لما ذكر سليمان في القرآن قالت يهود المدينة: ألا تعجبون لمحمد يزعم أن (ابن داود) كان نبياً؟ والله ما كان إلا ساحراً فنزلت هذه الآية[١] (وما كفر سليمان ولكنَّ الشياطين كفروا...). ذكره ابن إسحاق.

وجوه القراءات

أولاً: قوله تعالى: ﴿ولكنّ الشياطينَ كفروا﴾.

قرأ الجمهور: (ولكنّ الشياطين) بتشديد نون (لكنّ) ونصب نون (الشياطين) وقرأ حمزة والكسائي: (ولكن الشياطينُ) بتخفيف النون من (لكن) ورفع نون (الشياطين).

ثانياً: قوله تعالى: ﴿وما أُنزل على الملكَيْن﴾[٢].

قرأ الجمهور: (المَلَكَيْن) بفتح اللام والكاف مثنّى (مَلَك) وقرأ ابن عباس، وسعيد بن جبير (المَلِكَيْن) بكسر اللام مثنّى (مَلِك) قال ابن الجوزي: وقراءة الجمهور أصح[٣].

قال الطبري: وحُكي عن بعض القرّاء أنه كان يقرأ: (وما أُنزل على الملِكَيْن) يعني به رجلين من بني آدم[٤].

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿هاروتَ وماروتَ﴾، قرأ الجمهور بفتح التاء، وقرأ الحسن والزهري برفعهما على تقدير (هما هاروتُ وماروتُ).

وجوه الإعْراب

أولاً: قوله تعالى: ﴿واتبعوا ما تتلو الشياطين﴾، الواو للعطف، و (اتبعوا) معطوف على قوله تعالى: ﴿نبذ فريق﴾ من عطف الجملة على الجملة، والضمير

(١) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ١/١٢٠.
(٢) القرطبي ٢/٤٣، وزاد المسير ١/١٢٢، والفخر الرازي ١/٦٤٩.
(٣) زاد المسير لابن الجوزي ١/١٢٢، وانظر أحكام القرآن للجصاص ١/٥٦.
(٤) جامع البيان للطبري ٢/٤١٢.

obeikandl.com

في (اتبعوا) لليهود، و (ما) اسم موصول مفعول به و (تتلو) صلة الموصول و (الشياطين) فاعل مرفوع وهو إخبار عن حالهم في اتباعهم ما لا ينبغي أن يتّبع، لأن الاتباع ليس مترتباً على مجيء الرسول، بخلاف نبذ كتاب الله فإنه مترتب على مجيء الرسول(١).

ثانياً: قوله تعالى: ﴿يعلّمون النّاسَ السّحْرَ، وما أُنْزل على المَلَكَيْن...﴾، جملة (يعلّمون الناس السحر) في محل نصب على الحال من الضمير في (كفروا)، أي: كفروا معلّمين الناس السحر، وقيل هو بدل من (كفروا)، لأن تعليم السحر كفر في المعنى و (ما أُنزل) اسم الموصول (ما) معطوف على (ما تتلو) فهو في موضع نصب والمعنى: اتبعوا ما تتلوه الشياطين، واتبعوا ما أنزل على الملكين، وقيل: (ما أنزل)، ما: نافية، أي لم ينزل على الملكين، قال ابن الأنباري: وهذا الوجه ضعيف جداً، لأنه خلاف الظاهر والمعنى، فكان غيره أولى(٢).

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق﴾.

اللام في (لمن اشتراه) لام الابتداء، و (مَنْ) بمعنى الذي في موضع رفع لأنه مبتدأ، وخبره جملة (ما له في الآخرة من خلاق) و (من) في قوله: (من خلاق) زائدة لتأكيد النفي، وتقديره: ما له في الآخرة خلاق(٣).

لطائف التفسير

اللطيفة الأولى: تضمنت هذه الآيات الكريمة ما كان عليه اليهود من الخبث وفساد النيّة، والسعي للإضرار بعباد الله، فالسّحْر لم يُعرف إلاّ عند اليهود، فتاريخه مشتهر بظهورهم، فهم الذين نبذوا كتاب الله وسلكوا طريق السحر، وعملوا على إفساد عقول الناس وعقائدهم بطريق السحر، والشعوذة، والتضليل، وهذا يدلّ على

(١) البحر المحيط لأبي حيان ١/٣٢٩.
(٢) البحر المحيط ١/٣٢٥، والألوسي ١/٣٣٧، وغريب القرآن ١/١١٣.
(٣) البيان في إعراب غريب القرآن لابن الأنباري ١/١١٤.

opelikandl.com

أنّ اليهود أصل كل شرّ، ومصدر كلّ فتنة وقد صوّر القرآن الكريم نفسيّة اليهـود بهذا التصوير الدقيق ﴿كلّما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فساداً، والله لا يحبّ المفسدين﴾.

اللطيفة الثانية: قال أبو حيان: لمّا كانت الآيات السابقة فيها ما يتضمّن الوعيد في قوله تعالى: ﴿فإنّ الله عدوّ للكافرين﴾، وقوله: ﴿وما يكفر بها إلا الفاسقون﴾ وذكر نبذ العهود من اليهود، ونبذ كتاب الله، واتباع الشياطين، وتعلم ما يضر ولا ينفع، أتبع ذلك بآية تتضمن الوعد الجميل لمن آمن واتقى. فجمعت هذه الآيات بين الوعيد والوعد، والترغيب والترهيب، والإنذار والتبشير، وصار فيها استطراد من شيء إلى شيء، وإخبار بمغيّب بعد مغيّب، متناسقةً تناسق اللآلىء في عقودها، متَّضحةً اتضاح الدّراري في مطالع سعودها، معلمة صدق من أتى بها، وهو ما قرأ الكتب ولا دارس، ولا رحل، ولا عاشر الأحبار ولا مارس ﴿وما ينطقُ عن الهَوَى إنْ هُوَ إلاّ وحيٌ يُوحَى﴾ صلى الله وسلّم عليه، وأوصل أزكى تحية إليه[1].

اللطيفة الثالثة: قوله تعالى: ﴿نبذ فريقٌ من الذينَ أوتوا الكتابَ كتابَ الله وراءَ ظهورهِمْ﴾، التعبيرُ بالنبذ وراء الظهور، فيه زيادة تشنيع وتقبيح على اليهود، حيث تركوا العمل بكتاب الله، وأعرضوا عنه بالكلّية، شأن المستخفّ بالشيء، المستهزىء، به، وتمسكوا بأساطير من فنون السحر والشعوذة.

يقول سيّد قطب رحمه الله: «والذين أوتوا الكتاب هم الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، والمقصودُ طبعاً أنهم جحدوه وتركوا العمل به، ولكنّ التعبير المصوّر ينقل المعنى من دائرة الذهن، إلى دائرة الحس، ويمثّل عملهم بحركةٍ مادية متخيّلة، تصوّر هذا التصور تصويراً بشعاً مزرياً، ينضح بالكنود والجحود ويتسم بالغلظة والحماقة، ويفيض بسوء الأدب والوقاحة، ويدع الخيال يتملّى هذه الحركة العنيفة، حركة الأيدي تنبذ كتاب الله وراء الظهور»[2].

---

(١) البحر المحيط لأبي حيان ١/٣٣٦.

(٢) في ظلال القرآن لسيد قطب ١/١٢٦.

اللطيفة الرابعة: وجه المقارنة بين ذكر (الشياطين) و (السحر) في الآية الكريمة، هو أنّ السحر فيه استعانة بأرواح خبيثةٍ شرّيرة من الجن، والشياطينُ تزعم أنها تعلم الغيب وتوهم الناس بذلك، وقد كان بعض الناس يصدّقونهم فيما يزعمون، ويلجأون إليهم عند الكرب كما قال تعالى: ﴿ وأنّهُ كانَ رجالٌ من الإنسِ يَعُوذُونَ برجالٍ من الجِنّ فزادُوهُمْ رَهَقاً﴾، ولهذا اشتهر السّحر عن طريق الاتصال بهذه الأرواح الخبيثة.

أخرج ابن جرير والحاكم عن ابن عبّاس رضي الله عنهما أنه قال:

«إنّ الشياطين كانوا يسترقون السّمع من السّماء، فإذا سمع أحدهم بكلمة كذب عليها ألف كذبة، فأشربتها قلوب الناس واتخذوها دواوين، فأطلع الله على ذلك (سليمان بن داود) فأخذها وقذفها تحت الكرسي، فلمّا مات سليمان قام شيطان بالطريق، فقال: ألا أدلُّكُمْ على كنزِ سليمان الذي لا كنزَ لأحدٍ مثل كنزه الممنّع؟ قالوا: نعم فأخرجوه فإذا هو سحر، فتناسختها الأمم فأنزل الله تعالى عذر سليمان فيما قالوا من السحر»[(١)].

اللطيفة الخامسة: عبّر القرآن الكريم عن (السحر) بـ (الكفر) في قوله تعالى: ﴿وما كفر سليمان﴾ وسياقُ اللفظ يدلّ على أن المراد منه السحر أي: (وما سحر سليمان) وإنما عبّر عنه بالكفر تقبيحاً وتشنيعاً، كما قال تعالى فيمن ترك الحج مع القدرة عليه: ﴿ومن كفر فإنّ الله غني عن العالمين﴾.

وفي هذا التعبير تنفير للنّاس من السحر، ودلالةٌ على أنه من الكبائر الموبقات، بل هو قرين الكفر والإشراك بالله، وقد دلّ عليه قوله تعالى: ﴿إنما نحن فتنةٌ فلا تكفر﴾.

اللطيفة السادسة: روي أنّ رجلاً تكلّم بكلامٍ بليغٍ عند (عمر بن

---

(١) أخرجه الحاكم وصححه، وذكره الطبري في «جامع البيان»، ٢/٤١٣ وانظر روح المعاني للألوسي ١/٣٣٨.

عبد العزيز) فقال عمر: هذا والله السّحر الحلال. ورُوي أنّ (الزبرقان بن بدر) و (عَمْرو بن الأهتم) و (قيس بن عاصم) قدموا على رسول الله ﷺ فقال لعَمْرو: خبّرني عن الزبرقان؟ فقال: مُطاع في ناديه، شديد العارضة، مانعٌ لما وراء ظهره.. فقال الزبرقان: هو والله يعلمُ أني أفضلُ منه، فقال عمرو: إنه زمر المروءة، ضيّق العَطَن، أحمقُ الأب، لئيم الخال.. ثم قال يا رسول الله: صدقتُ فيهما، أرضاني فقلت أحسن ما علمتُ، وأسخطني فقلت أسوأ ما علمت، فقال عليه السلام: «إنَّ من البيان لسحراً»[(١)].

ورُوي: أن رجلين قدما على رسول الله ﷺ فخطب أحدهما فعجب الناس من فصاحته وبلاغته، فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ من البيان لسحراً».

فإن قيل: كيف سمّى عليه السلامُ روعة البيان سحراً مع أنَّ السحر مذموم عقلاً ونقلاً؟!

فالجواب: أنَّ هذا على (المجاز) لا على (الحقيقة) فالخطيب يستميل القلوب بحسن بيانه وروعة أدائه، وجمال تعبيره، كما يستميل الساحر قلوب الحاضرين إليه بخفته ورشاقته وتمويهه على الحاضرين، فمن هذا الوجه سمّي البيان سحراً.

اللطيفة السابعة: **فإن قيل**: كيف كان الملكان يعلّمان الناس السحر مع أنه حرام، ومعتقده كافر؟!

فالجواب: أنهما ما كانا يعلّمان الناس السّحر للعمل به، وإنما للتخلّص من ضرره، والاحتراز منه[(٢)] لأنَّ تعريف الشر للزجر عنه حسن وقد قيل:

عَرَفْتُ الشَّرَّ لا لِلشَّرِّ لَكِنْ لِتَوَقِّيهِ
وَمَنْ لَا يَعْرِفِ الشَّرَّ مِنَ النَّاسِ يَقَعْ فِيهِ

---

(١) أحكام القرآن للجصاص ١/ ٤٢.

(٢) انظر الجصاص ١/ ٤٢، وتفسير الألوسي ١/ ٣٤٤.

وقد قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه إنَّ فلاناً لا يعرف الشر، قال: أجدر أن يقع فيه. والصحيح كما قال الألوسي: أن ذلك كان للابتلاء والتمييز بين (المعجزة) و (السحر) والله أعلم.

الأحكام الشرعية

الحكم الأول: هل للسّحر حقيقة وتأثير في الواقع؟

اختلف العلماء في أمر (السحر) هل له حقيقة أم هو شعوذة وتخييل؟

فذهب جمهور العلماء: من أهل السنة والجماعة إلى أن السحر له حقيقة وتأثير.

وذهب المعتزلة وبعض أهل السُّنَّة إلى أنَّ السحر ليس له حقيقة في الواقع وإنما هو خداع، وتمويه، وتضليل، وأنه باب من أبواب الشعوذة، وهو عندهم على ضروب.

ضروب السّحر

أولاً: التخييل والخداع، وذلك كما يفعله بعض المشعوذين، حيث يريك أنه ذبح عصفوراً، ثم يريك العصفور بعد ذبحه قد طار، وذلك لخفة حركته، والمذبوحُ غير الذي طار لأنه يكون معه اثنان، قد خبّأ أحدهما وهو المذبوح وأظهر الآخر.
قالوا: وقد كان سحر سحرة فرعون من هذا النوع، فقد كانت العصيّ مجوّفة، قد ملئت زئبقاً، وكذلك الحبال كانت من أدم (جلد) محشوّة زئبقاً، وقد حفروا تحت المواضع أسراباً وملؤها ناراً، فلمّا طرحت عليها الحبال والعصيّ وحمي الزئبق تحركت، لأنَّ من شأن الزئبق إذا أصابته الحرارة أن يتمدّد، فتخيّل الناس أنَّ هذه الحبال والعصي حيات تتحرك وتسير.

ثانياً: الكهانة والعرافة بطريق التواطؤ، وذلك كما يفعله بعض العَرّافين والكُهّان حيث يوكلون أناساً بالاطلاع على أسرار الناس، حتى إذا جاء أصحابها

أخبروهم بها، ويزعمون أنهـا من حديث الجنّ والشيـاطين لهم، وأنهم يتصلون بهم ويـطيعونهم بـواسطة الـرُّقى والعزائم، وأن الشيـاطين تخبرهم بـالمغيبات فيصـدقهم الناس، وما هي إلاّ مواطأة مـع أشخاصٍ قد أعدّوهم لذلك.

قال الجصّاص: كانت أكثر مخاريق الحلاّج بالمواطأة، فكان يتفق مـع جماعة فيضعون لـه خبزاً ولحماً وفاكهة في مواضـع يعيّنها لهم، ثمّ يمشي مـع أصحابه في البرية، ثم يأمر بحفر هذه المواضـع، فيخرج ما خبىء من الخبز واللحم والفاكهة، فيعدّونها من الكرامات.

ثالثاً: وضـربٌ آخر من السّحـر **عن طريق النميمـة، والوشـاية، والإفسـاد** من وجوه خفيّـة لطيفـة، وذلك عـام شائـع في كثيـر من الناس.. وقـد حُكي أنَّ امرأةً أرادت إفساد ما بين زوجين، فجاءت إلى الزوجـة، فقالت لهـا: إنَّ زوجك معـرضٌ عنك، وهو يريد أن يتزوج عليك، وسأسحـره لك حتى لا يـرغب عنك، ولا يـريد سـواكِ، ولكن لا بدّ أن تأخذي من شعر حلقه بالموسى ثلاث شعرات إذا نام وتعطينيها حتّى يتم سحره، فاغترّت المرأة بقولها وصـدقتها، ثمَّ ذهبت إلى الـرجل وقـالت لـه: إن امرأتك قد أحبّت رجلاً وقـد عزمت على أن تـذبحك بـالموسى عنـد النوم لتتخلص منـك، وقد أشفقتُ عليك ولزمني نصحـك، فتيقّظْ لها هـذه الليلة وتظاهـر بـالنـوم فستعرف صدق كلامي، فلما جاء الليل تناوم الرجل في بيته فجاءت زوجته بالموسى لتحلق بعض شعرات من حلقه، ففتـح الرجل عينه فرآهـا وقد أهـوت بالمـوسى إلى حلقـه، فلم يشكّ في أنهـا أرادت قتله فقـام إليهـا فقتلهـا، فبلـغ الخبـر إلى أهلهـا فجاءوا فقتلوه، وهكذا كان الفساد بسبب الوشاية والنميمة(١).

رابعاً: وضرب آخر من السحر **وهـو الاحتيال**، وذلـك بإطعـام الإنسان بعض الأدويـة المؤثرة في العقـل، أو إعطائـه بعض الأغـذيـة التي لهـا تـأثيـر على الفكـر والذكاء، كإطعامه (دماغ الحمار) الذي إذا أُطعِمَهُ إنسان تبلّد عقله، وقلّت فـطنته مـع

(١) انظر تفسير آيات الأحكام للجصاص ١/ ٤٨.

أدوية أخرى معروفة في كتب الطب، فإذا أكله الإنسان تصرّف تصرُّفاً غير سليم، فيقول الناس: بـه مسٌّ أو إنَّه مسحور.

فأنت ترى أنهم يُرجعون السحر إمَّا إلى **تمويه وتخييل**، وإمَّا إلى **مواطأة**، وإما إلى **سعي ونميمة**، وإمَّا إلى احتيال، ولا يرون الساحر يقدر على شيء مما يثبته له الآخرون من التأثير في الأجسام، ومن قطع المسافات البعيدة في الزمن اليسير.

قال أبو بكر الجصاص: وحكمةٌ كافية تبيّن لك أن هذا كله مخاريق وحيل، لا حقيقة لما يدّعون لها، أنَّ الساحر والمعزّم لو قدرا على ما يدعيانه من النفع والضرر، وأمكنهما الطيران، والعلم بالغيوب، وأخبار البلدان النائية، والخبيئات والسَّرَق، والإضرار بالناس من غير الوجوه التي ذكرنا، لقدروا على إزالة الممالك واستخراج الكنوز، والغلبة على البلدان بقتل الملوك بحيث لا ينالهم مكروه، ولاستغنوا عن الطلب لما في أيدي الناس.

فإذا لم يكن كذلك، وكان المدّعون لذلك أسوأ الناس حالاً، وأكثرهم طمعاً واحتيالاً، وتوصلاً لأخذ دراهم الناس، وأظهرهم فقراً وإملاقاً، علمتَ أنهم لا يقدرون على شيء من ذلك»[1].

أدلّة المعتزلة:

استدل المعتزلة على أن السحر ليس له حقيقة بعدة أدلّة نوجزها فيما يلي:

(أ) قوله تعالى: ﴿سحروا أعين الناس واسترهبوهم﴾.
(ب) قوله تعالى: ﴿يخيّل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾.
(جـ) قوله تعالى: ﴿ولا يفلح الساحر حيث أتىٰ﴾.

فالآية الأولى تدلّ على أن السحر إنما كان للأعين فحسب، والثانية تؤكد أنَّ

(١) تفسير أحكام القرآن للجصاص ١/٤٨.

هذا السحر كان تخييلاً لا حقيقة، والثالثة تثبت أن الساحر لا يمكن أن يكون على حق لنفي الفلاح عنه.

(د) وقالوا: لو قدر الساحر أن يمشي على الماء، أو يطير في الهواء، أو يقلب التراب إلى ذهب على الحقيقة، لبطل التصديق بمعجزات الأنبياء، والتبس الحق بالباطل، فلم يعد يعرف (النبي) من (الساحر) لأنه لا فرق بين معجزات الأنبياء، وفعل السحرة، وأنه جميعه من نوع واحد.

أدلة الجمهور:

واستدل الجمهور من العلماء على أنّ السحر له حقيقة وله تأثير بعدة أدلة نوجزها فيما يلي:

(أ) قوله تعالى: ﴿سَحَرُوا أعينَ النَّاسِ واسْتَرْهَبُوهُمْ وجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيم﴾.

(ب) قوله تعالى: ﴿فيتعلّمون منهما ما يفرّقون بِهِ بين المرء وزوجه﴾.

(جـ) قوله تعالى: ﴿وما هم بضارين به من أحدٍ إلاّ بإذن الله﴾.

(د) قوله تعالى: ﴿ومن شرّ النفّاثات في العقد﴾.

فالآية الأولى دلّت على إثبات حقيقة السحر بدليل قوله تعالى: ﴿وجاءوا بسحر عظيم﴾، والآية الثانية أثبتت أن السحر كان حقيقياً حيث أمكنهم بواسطته أن يفرّقوا بين الرجل وزوجه، وأن يوقعوا العداوة والبغضاء بين الزوجين فدلّت على أثره وحقيقته، والآية الثالثة أثبتت الضرر للسحر، ولكنّه متعلق بمشيئة الله، والآية الرابعة تدل على عظيم أثر السحر حتى أمرنا أن نتعوذ باللهِ من شرّ السّحرة الذين ينفثون في العقد.

(هـ) واستدلوا بما روي أن يهودياً سحر النبي ﷺ فاشتكى لذلك أيّاماً، فأتاه جبريل، فقال: إنَّ رجلاً من اليهود سحرك، عقد لك عقداً في بئر كذا وكذا،

فأرسل ﷺ فاستخرجها فحلّها، فقام كأنما نَشِطَ من عقال[1].

الترجيح: ومن استعراض الأدلة نرى أنَّ ما ذهب إليه الجمهور أقوى دليلاً فإنَّ السحر له حقيقة وله تأثير على النفس، فإن إلقاء البغضاء بين الزوجين، والتفريق بين المرء وأهله الذي أثبته القرآن الكريم ليس إلاَّ أثراً من آثار السحر، ولو لم يكن للسحر تأثير لما أمر القرآن بالتعوذ من شرّ النفاثات في العقد، ولكنْ كثيراً ما يكون هذا السحر بالاستعانة بأرواح شيطانية فنحن نقرّ بأنّ له أثراً وضرراً ولكنّ أثره وضرره لا يصل إلى الشخص إلاّ بإذن الله، فهو سبب من الأسباب الظاهرة، التي تتوقف على مشيئة مسبِّب الأسباب، ربّ العالمين جلّ وعلا.

وأمّا استدلالهم بأنه يلتبس الأمر بين (المعجزة) و(السحر) إذا أثبتنا للسّحر حقيقة فنقول: إنَّ الفرق بينهما واضح فإنّ معجزات الأنبياء عليهم السلام هي على حقائقها، وظاهرُها كباطنها، وكلمّا تأملتها ازددت بصيرة في صحتها، وأمّا السحر فظاهره غير باطنه، وصورته غير حقيقته، يعرف ذلك بالتأمل والبحث، ولهذا أثبت القرآن الكريم للسحرة أنهم استرهبوا الناس وجاءوا بسحرٍ عظيم، مع إثباته أنَّ ما جاءوا به إنما كان عن طريق التمويه والتخييل.

قال العلامة القرطبي: «لا ينكر أحدٌ أن يظهر على يد الساحر خرق العادات، بما ليس في مقدور البشر، من مرضٍ، وتفريق، وزوال عقل، وتعويج عضو، إلى غير ذلك ممّا قام الدليل على استحالة كونه من مقدورات البشر.

قالوا: ولا يبعد في السحر أن يستدقّ جسم الساحر حتى يلج في الكُوّات، والخوخات، والانتصاب على رأس قصبة، والجري على خيط مستدق، والطيران في الهواء، والمشي على الماء، وركوب كلب وغير ذلك، ومع ذلك فلا يكون السحر موجباً لذلك، ولا علةً لوقوعه، ولا سبباً مولداً، ولا يكون الساحر مستقلاً

---

(١) رواه النسائي عن زيد بن أرقم ١١٢/٧، وفي الصحيحين عن عائشة أن الذي سحره من اليهود يسمى (لبيد بن الأعصم)، والحديث مشهور وقصته معروفة، وانظر جامع الأصول ٦٥/٦.

به، وإنما يخلق الله تعالى هذه الأشياء، ويحدثها عند وجود السحر، كما يخلق الشبع عند الأكل، والريّ عند شرب الماء.

ثم قال: قد أجمع المسلمون على أنه ليس في السحر ما يفعل الله عنده من إنزال الجراد، والقمل، والضفادع، وفلق البحر، وقلب العصا، وإحياء الموتى، وإنطاق العجماء، وأمثال ذلك من عظيم آيات الرسل عليهم السلام، فهذا ونحوه مما يجب القطع بأنه لا يكون، ولا يفعله الله عند إرادة الساحر[(١)].

وقال أبو حيان: واختلف في حقيقة السحر على أقوال:

الأول: أنه قلب الأعيان واختراعها بما يشبه المعجزات والكرامات كالطيران، وقطع المسافات في ليلة.

الثاني: أنه خدع وتمويهات وشعوذة لا حقيقة لها وهو قول المعتزلة.

الثالث: أنه أمرٌ يأخذ بالعين على جهة الحيلة، كما كان فعل سحرة فرعون حيث كانت حبالهم وعِصِيُّهم مملوءة زئبقاً، فجُروا تحتها ناراً فحميت الحبال والعصي فتحرّكت وسعت.

الرابع: أنه نوع من خدمة الجن والاستعانة بهم، وهم الذين استخرجوه من جنس لطيف فلطف ودقّ وخفي.

الخامس: أنه مركب من أجسام تُجمع وتحرق، ويتلى عليها أسماء وعزائم، ثم تستعمل في أمور السحر.

السادس: أن أصله طلسمات تبنى على تأثير خصائص الكواكب، أواستخدام الشياطين لتسهيل ما عسُر.

السابع: أنه مركَّب من كلمات ممزوجة بكفر، وقد ضمّ إليها أنواع من الشُعوذة، والعزائم، وما يجري مجرى ذلك.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ٢/ ٤٧.

ثم قال: وأما في زماننا الآن فكلُّ ما وقفنا عليه في الكتب فهو كذب وافتراء، ولا يترتب عليه شيء، ولا يصح منه شيء البتة، وكذلك العزائم وضرب المندل، والناس يصدقون بهذه الأشياء ويصغون إلى سماعها[1].

الحكم الثاني: هل يباح تعلّم السحر وتعليمه؟

ذهب بعض العلماء إلى أن تعلّم السحر مباح، بدليل تعليم الملائكة السحر للناس كما حكاه القرآن الكريم عنهم، وإلى هذا الرأي ذهب (الفخر الرازي) من علماء أهل السنة.

وذهب الجمهور إلى حرمة تعلم السحر، أو تعليمه، لأنَّ القرآن الكريم قد ذكره في معرض الذمّ، وبيّن أنه كفر فكيف يكون حلالاً؟

كما أن الرسول عليه الصلاة والسلام عدّه من الكبائر الموبقات كما في الحديث الصحيح وهو قوله صلوات الله عليه:

«اجتنبوا السبع الموبقات، قالوا وما هنَّ يا رسول الله؟ قال: الشرك باللّهِ، والسحر، وقتل النفس التي حرَّم الله إلاّ بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»[2].

قال الألوسي: «وقيل إنَّ تعلمه مباح، وإليه مال الإمام الرازي قائلاً: اتفق المحقّقون على أن العلم بالسحر ليس بقبيح ولا محظور، لأن العلم لذاته شريف لعموم قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ؟﴾، ولو لم يُعرف السحر لما أمكن الفرق بينه وبين المعجزة، فكيف يكون تعلمه حراماً وقبيحاً؟.

ونقل بعضهم وجوب تعلمه على المفتي حتى يعلم ما يقتل به وما لا يقتل به، فيفتي به في وجوب القصاص. انتهى.

---

(١) تفسير البحر المحيط ١/٣٢٧.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في الوصايا ٥/٢٩٤، ومسلم في الإيمان (٨٩)، وأبو داود برقم (٢٨٧٤)، والنسائي ٦/٢٥٧ باب اجتناب أكل مال اليتيم.

ثم قال **الألوسي**: «والحق عندي الحرمة تبعاً للجمهور، إلاَّ لداعٍ شرعي، وفيما قاله الإمام الرازي رحمه الله نظر.

أمّا أولاً: فلأنا لا ندّعي أنه قبيح لذاته، وإنما قبحه باعتبار ما يترتب عليه، فتحريمه من باب (سد الذرائع) وكم من أمرٍ حَرُم لذلك.

وأمّا ثانياً: فلأنّ توقف الفرق بينه وبين المعجزة على العلم به ممنوعٌ، ألا ترى أن أكثر العلماء ـ أو كلّهم ـ عرفوا الفرق بينهما ولم يعرفوا علم السحر، ولو كان تعلمه واجباً لرأيت أعلم الناس به الصدر الأول.

وأمّا ثالثاً: فلأنَّ ما نُقل عن بعضهم غير صحيح، لأنَّ إفتاء المفتي بوجوب القَوَد أو عدمه لا يستلزم معرفته علم السحر، لأن صورة إفتائه ـ على ما ذكره العلاَّمة ابن حجر ـ إنْ شهد عدلان عرفا السحر وتابا منه أنه يقتل غالباً قُتل الساحر، وإلاَّ لم يُقتل[1].

وقال **أبو حيان**: وأما حكم السحر، فما كان منه يُعظَّم به غير الله من الكواكب، والشياطين، وإضافة ما يُحدثه الله إليها فهو **كفر إجماعاً**، لا يحلّ تعلمه ولا العمل به، وكذا ما قصد بتعلمه سفك الدماء، والتفريق بين الزوجين والأصدقاء.

وأما إذا كان لا يعلم منه شيء من ذلك بل يحتمل، فالظاهر أنه لا يحل تعلمه، ولا العمل به، وما كان من نوع التخييل، والدَّجل، والشعبذة فلا ينبغي تعلمه لأنه من باب الباطل، وإن قصد به اللهو واللعب وتفريج الناس على خفة صنعته فيكره»[2].

---

(١) روح المعاني للألوسي ١/٣٣٩.

(٢) تفسير البحر المحيط لأبي حيان ١/٣٢٨.

الحكم الثالث: هل يُقتل الساحر؟

قال أبو بكر الجصاص: «اتفق السلف على وجوب قتل الساحر، ونصّ بعضهم على كفره لقوله عليه السلام: «من أتى كاهناً أو عرافاً أو ساحراً فصدَّقه بما يقول، فقد كفر بما أُنزل على محمد».

واختلف فقهاء الأمصار في حكمه.

فروي عن **أبي حنيفة** أنه قال: الساحرُ يُقتل إذا عُلم أنه ساحر ولا يستتاب، ولا يقبل قوله إني أترك السحر وأتوب منه، فإذا أقر أنّه ساحر فقد حلّ دمه، وكذلك العبد المسلم، والحر الذميّ من أقر أنه ساحر فقد حلًّ دمه، وهذا كله قول أبي حنيفة.

قال ابن شجاع: فَحكَمَ في الساحر والساحرة حكم المرتد والمرتدة، وقال ـ نقلاً عن أبي حنيفة ـ إنَّ الساحر قد جمع مع كفره السعيَ في الأرض بالفساد، والساعي بالفساد إذا قَتَلَ قُتِلَ.

وروي عن مالك: في المسلم إذا تولّى عمل السحر قتل ولا يستتاب، لأنَّ المسلم إذا ارتدّ باطناً لم تعرف توبته بإظهاره الإسلام، فأمّا ساحر أهل الكتاب فإنه لا يقتل عند مالك إلاّ أن يضر المسلمين فيقتل.

وقال الشافعي: لا يكفر بسحره، فإن قَتَلَ بسحره، وقال: سحري يقتل مثله، وتعمدت ذلك قتل قوداً، وإن قال: قد يُقتل، وقد يخطىء، لم يُقتل وفيه الدية.

وقال الإمام أحمد: يكفر بسحره قتل به أو لم يقتل، وهل تقبل توبته؟ على روايتين، فأمّا ساحر أهل الكتاب فإنه لا يُقتل إلاّ أن يضر بالمسلمين[1].

والخلاصة: فإنَّ أبا حنيفة يذهب إلى كفر الساحر، ويبيح قتله ولا يستتاب عنده، والساحر الكتابي حكمه كالساحر المسلم، **والشافعي** يقول بعدم كفره ولا يقتل عنده إلاّ إذا تعمّد القتل. **ومالك** يرى قتل الساحر المسلم لا ساحر أهل الكتاب ويحكم بكفر الساحر، ولكلٍ وجهة هو مولّيها...

---

(١) تفسير الألوسي ١/٣٤٠.

obeikandl.com

ما ترشد إليه الآيات الكريمة

١ ــ التوراة كتاب الله الذي أنزله على موسى عليه السلام والقرآن مصدّق للتوراة.

٢ ــ نبذ اليهود (التوراة) ولم يعملوا بما فيها كما نبذ أخلافهم القرآن الكريم.

٣ ــ سليمان عليه السلام كان نبياً ملكاً. ولم يكن ساحراً محترفاً للسحر.

٤ ــ الشياطين زينوا للناس السحر، وأوهموهم أنهم يعلمون الغيب.

٥ ــ السحر له حقيقة وتأثير على النفس، حتى يستطيع الشخص بواسطته أن يفرق بين الرجل وأهله.

٦ ــ الله جلَّ ثناؤه يختبر عباده بما شاء من الأمور ابتلاءً وتمحيصاً.

٧ ــ من تبدل السحر بكتاب الله فليس له في الآخرة نصيب من رحمة الله.

٨ ــ مدار الثواب والجزاء في الآخرة هو الإيمان بالله تعالى وإخلاص العمل له.

* * *

خاتمة البحث:

حكمة التشريع

لقد حَرَصَ الإسلام في كل تشريعاته، على سلامة العقيدة في قلب المسلم، ليكون دائماً وأبداً متصلاً باللّهِ، معتمداً عليه، مقراً له بالربوبية، مستعيناً به على شدائد هذه الحياة، لا يتوجه لغيره في دعاء، ولا يقر لسواه بأي تأثير، أو تحكم في قانونٍ من قوانين الطبيعة، التي خلقها الله تعالى، وسيَّرها بعلمه، وقدرته، وإرادته.

فالنجوم،والكواكب، مسخراتٌ بأمره ــ كغيرها من خلق الله ــ تسير وفق الخط المرسوم لها من الأزل، ولا تؤثر حركتُها على الإنسان الذي خلقه الله تعالى على ظهر هذه الأرض، وقدَّر له أرزاقه، وأعماره، فلا ينتهي عمر إنسانٍ ما بظهور كوكبٍ، أو اختفائه، ولا يزيد رزقُ امرىءٍ، ولا ينقص عمّا قدَّره الله تعالى له، فكل شأن من شؤون الحياة، مدبرٌ بأمرِ الله.

obeikandi.com

فإن زعم إنسان أنه يعلم الغيبَ، باتصالِه بالكواكِبِ. وتعظيمِهِ لها، أو اتصالِه بالجن والشياطين، ويستطيع بذلك أن يؤثر في قوانين هذه الحياة، ويحكم في مسيرتها الطبيعية، بما يُخرجها عمّا رُسِمَ لها، يكون بذلك قد خالف شِرعة الله، التي أوضحها في كتابه، وتجاوز الحدودَ التي وُضعت له، وخرج عن قانونِ الحنيفية السمحة، فلا جَرَمَ أن يُحكم عليه بالكفر لتعظيمه غيرَ الله، واستعانتِهِ بغيرِ الخالِق، وإثباته التأثيرَ في خلق الله لغير الباريء ـ جلّ وعلا ـ والمسلمُ يعلم ـ بما علمه الله ـ أن الساحر قد يستطيع إيصال الضر والبلاء والأذى بالناس، وقد يصل بذلك إلى التفريق بين المرء وزوجه، ولكنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً إلاّ بإذن الله تعالى.

وإذا كان السحر كفراً، وخروجاً عن شرعة الإسلام، فلا يمكن أن يوصف أحد من رسل الله تعالى بأنه ساحر، أو أنه كان يحكم بالسحر، ويأتي بالخوارق والمعجزات بهذا الأمر، ولهذا جاء القرآن، كتاب الله المبين، منزهاً (سليمان بن داود) عليه السلام عن أن يكون ساحراً، أو حاكماً بالسحر، أو آمراً به، فما زعمته بنو إسرائيل عن النبي الكريم ـ سليمان عليه السلام ـ زعمٌ كاذبٌ، وقولٌ باطلٌ، يدل على جهلهم، بل على ضلالهم عن سواء السبيل، وبعدِهم عن الصراط المستقيم، فهم لم يعرفوا الله حق معرفته، ولم يعلموا ما يجب في حق الرسل ـ عليهم السلام ـ وما يستحيل، فالرسل الكرام منزهون عن الاستعانة بالشياطين، وإنما كان الجن مسخرين لسليمان عليه السلام، بأمر الله تعالى لا بالسحر.

هذا هو شرع الله المتين، تنزيهٌ لله، عن أن يشركه أحد من خلقه في التأثير، وتنزيهٌ لرسله الكرام عما يبعدهم عن سواء السبيل، وبيانٌ للمسلم عما يجب أن يعتقده، ولهذا قال رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم: «اجتنبوا السبع الموبقات..» وعدَّ منها السحر!!

* * *